



بسم الله، الحمد لله، والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن المؤسسات الثلاثة: الطلائع الشبيبة الاتحاد الوطني لطلبة سوريا، إنما كانت وظيفتها الأولى و الأخيرة غسل دماغ شعبنا بصدق الإلحاد والتطرف والتشويه والتزوير والافتراء على ديننا و نبينا وكتاب ربنا وتاريخنا، ورموزنا في شتى المراحل والمستويات.

وما يواكب ذلك من اختلاط ماجن، وتشجيع على التحرش الجنسي، ودعوة للتبرج، وتبريم من الحجاب، وتسفيه لصلاحية الإسلام لكل زمان و مكان، وتشكيك في الثوابت، ومحاولة عنيفة في سبيل تحطيم المقدس عند كافة شرائح جماهيرنا، كل ذلك في مقابل تقديم الثقافة الغربية التي زحفت على مجتمعات المسلمين وإسلامهم مع حقبة الاستعمار البغيض على أنها بديل الخلاص لأمتنا! وتسرير ذلك الزحف، إلى غير ما ذكرنا من مفاسد واعتداءات لا تخفي على ذي لب، ولا يغمض العين عنها إلا من طمس الله نور بصره وبصيرته معا!

هذه الحقيقة عشناها لحظة بلحظة وسأتي بعونه تعالى بشهادتي الشخصية عليها في سطور هذا المقال القادمة. كما أن وجود علماء سوء تقارب من سلطانين الجور زلفى، ليست بدعا من تاريخ أمتنا المجيد، لكنها جزء من كل نقطة سوداء في ذاك التاريخ المضيء، كما أنني لست أول من أعلن عنها وإنما القرآن الكريم والسنة المشرفة والتاريخ كل ذلك تكفل بابرازها والتحذير من مخاطرها، فهي مرض لم يخل منه عصر إلا أن خطره استشرى بقوة في هذا المنعطف القاسي من تاريخ أمتنا، لهذا وجدنا العلماء العاملين، والفقهاء المخلصين، والدعاة الغيورين يقتدون بمنهج الكتاب والسنة و في

مقدمة من أجداد التوصيف، وفق في التحذير الإمام الجرجاني من علماء القرن الرابع الهجري (325_392) حيث وصف حال الفريقين وصفاً دقيقاً لم أجد له بمثيله لغيره. يقول الإمام الجرجاني أبو الحسن رحمة الله تعالى:

يُقُولُونَ لِي فِيْكَ أَنْبَاضٌ وَإِنَّمَا
رَأَوْا رَجَلًا عَنْ مَوْقِفِ الدُّلُّ أَحْجَمًا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْهُمْ
وَمَنْ أَكْرَمَتُهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرِمًا
وَلَمْ أَفْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كُنْتُ كُلُّمَا
بَدَا طَمَعٌ صَيَرْتُهُ لِي سُلَّمَا
وَمَا زَلْتُ مُنْحَازًا بِعِرْضِي جَانِبَا
عَنِ الدُّلُّ أَعْتَدُ الصِّيَانَةَ مَغْنَمَا
إِذَا قِيلَ: هَذَا مَنْهَلٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى
وَلِكُنَّ نَفْسَ الْحُرُّ تَحْتَمِلُ الظَّمَّا
أَنْزَهَهَا عَنْ بَعْضِ مَا لَا يُشِينُهَا
مَخَافَةَ أَقْوَالِ الْعِدَا فِيمَا أَوْ لَمَا؛
فَأَصْبَحَ عَنْ عِيْبِ الْلَّئِيمِ مُسَلَّمَا
وَقَدْ رَحَتُ فِي نَفْسِ الْكَرِيمِ مُعَظَّمَا
وَإِنِّي إِذَا مَا فَاتَنِي الْأَمْرُ لَمْ أَبِتْ
أَقْلَبَ كَفِّي إِثْرَهُ مَتَنَدِّمَا
وَلَكِنَّهُ إِنْ جَاءَ عَفْفُوا قَبْلَهُ
وَإِنْ مَالَ لَمْ أَتَبِعْهُ هَلَّا وَلَيْتَمَا
وَأَقْبَضَ خَطْوَيِّي عَنْ حَظْوَظِ كَثِيرٍ
إِذَا لَمْ أَنْلَهَا وَافَرَّ الْعِرْضَ مُكْرَمَا
وَأَكْرِمَ نَفْسِي أَنْ أَضَاحِكَ عَابِسًا
وَأَنْ أَلْقَى بِالْمَدِيْحِ مُذَمَّمَا
وَكَمْ طَالِبَ رَقَّيِ بِنُعْمَاهِ لَمْ يَصِلْ
إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الرَّئِيسَ الْمَعَظِمِاً
وَكَمْ نَعْمَةٌ كَانَتْ عَلَى الْحُرُّ نَقْمَةٌ
وَكَمْ مَغْنِمٌ يَعْتَدُهُ الْحُرُّ مَغْرِمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خَدْمَةِ الْعِلْمِ مَهْجِتِي
لِأَخْدِمِ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لِأَخْدِمَاهَا
أَلْشَقَى بِهِ غَرْسَا وَأَجْنِيَهُ ذِلَّةً
إِذَا فَاتَبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا

وَإِنِّي لِرَاضٍ عَنْ فَتَىٰ مَتَعَفِّفٍ

بِرُوحٍ وَيَغْدُو لِيَسْ يَمْلِكُ دِرْهَمًا

بِبَيْتٍ يَرَاعِي النَّجَمَ مِنْ سَوْءِ حَالِهِ

وَيَصْبِحُ طَلْفًا ضَاحِكًا مَتَبَسِّمًا

وَلَا يَسْأَلُ الْمُثْرِينَ مَا بِأَكْفِهِمْ

وَلَوْ مَاتَ جُوْعًا عِفَّةً وَتَكْرُمًا

فَإِنْ قَلْتَ: "زَنْدُ الْعِلْمِ كَابٌ" فَإِنَّمَا

كَبَا حِينَ لَمْ نَحْرُسْ حِمَاءً وَأَظْلَمَا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانُهُمْ

وَلَوْ عَظَمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعَظَمَا

وَلَكِنَّ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسَوْا

مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّىٰ تَجَهَّمَا

وَمَا كُلَّ بَرْقٍ لَّاَحَ لِي يَسْتَفِزِنِي

وَلَا كُلَّ مَنْ لَاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمًا

وَلَكِنْ إِذَا مَا اضْطَرَنِي الضُّرُّ لَمْ أَبْتِ

أَقْلَبُ فَكْرِي مُنْجِدًا ثُمَّ مُتَهِمًا

إِلَى أَنْ أَرَى مَا لَا أَغَصُّ بِذِكْرِهِ

إِذَا قَلْتُ قَدْ أَسْدَى إِلَيَّ وَأَنْعَمَا

قال التاج السبكي رحمة الله تعالى، بعد أن أورد هذه القصيدة الفائقة العصماء في ترجمة الجرجاني: "لله هذا الشعر ما أبلغه وأصنعه! وما أعلى على هام الجوزاء موضعه! وما أنفعه لو سمعه من سمعه!..."

هذه الأبيات الرائعة تختصر لنا صنفي علماء الإسلام وعلماء السلطان، وأننا لسنا من صنفناهم على خلفية تصفية حسابات سياسية، لكنهما وجهان مختلفان: أحدهما أخلص العمل لوجه ربه الأعلى، وأحسن الظن بوعده، وارتعد قلبه من وعيده، يرجو رحمته ويخشى عذابه، يدعوه رغباً ورهباً، ولا تأخذه في جلال رب العزة لوم أو عتاب، ولا ترهبه الدنيا لو أطبقت عليه، كما لا يسأله لعابه لما يقدمه له الأعداء من شهوة محرمة أو إغراء.

والآخر طامع في الحياة، يبحث عن فرصة الدنيا أو ظهور، غافل عن وعد الله معرض عن وعيده، نليل هان عليه أمر دينه، بعد أن صارت الدنيا أكبر همه، ومبلاع علمه، وبعد أن صار الدين وسيلة التي ضرب منها جسراً لبلوغ زخارف فانية من حطامها!

فهذا الوجهان يحكيان لنا فريقين متناقضين في كل شيء ولو كانوا يحملان العنوان الإسلامي ذاته! ركز معني في كلام الجرجاني وهو يقول:

أَرَى النَّاسَ مِنْ دَانَاهُمْ هَانَ عَنْهُمْ

وَمِنْ أَكْرَمَتْهُ عَزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا

تجد قوله فصلاً في الطائفتين. وفي قوله:

ولم أقض حق العلم إن كنت كلما

بدا طمع صيرته لي سلما

وقوله: وكم نعمة كانت على الحر نسمة

وقوله: أأشقى به غرسا و أجنيه ذلة؟! يشير إلى العلم إذا فاتياع الجهل قد كان أحزما

وقوله: ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... وقوله: ولكن أهانوه فهانوا

وقوله: وما كل برق لاح يستفزني ... ولا كل من لاقيت أرضاه منعما

عند هذه النقطة ننتهي من الجزء الأول من هذا المبحث على أمل اللقاء بكم في الأجزاء الأخرى منه

راجيا من المولى عز و جل أن لا تحرموني من دعوة صالحة في ظهر الغيب، ومن ملحوظة بناءة، وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين في انتظار الجزء الثالث بإذنه تعالى.

المصادر: